

ما وراء القناع:

دراسة في البواعث النفسية لتضخم الأنا في شعر المتنبي

Behind the mask:

A study of the psychological motives for the inflation of the ego in

Al-Mutanabbi's poetry

ط/د: شيباني خولة، أ.د: شابي سعاد

Chibani Khaoul, Chabi Souaad

1 جامعة أحمد درابية (أدرار) kha.chibani@univ-adrar.edu.dz2 جامعة أحمد درابية (أدرار)، Sou.chabi@univ-adrar.edu.dz

تاريخ النشر: 2025/11/30

تاريخ القبول: 2025/10/14

تاريخ الاستلام: 2024/05/24

الملخص: تشغل هذه الورقة البحثية بالمنجز الشعري لأبي الطيب المتنبي الذي رأى فيه النقاد لغزاً يصعب فكّه، وحبذا لا تبلغ كنوزه إلا بالغوص في أعماقه لكونه نص استثنائي، وقد سلطنا الضوء في هذه الدراسة على أهم البواعث النفسية المباشرة التي ساعدت على تضخم الأنا عنده وتسببت في تعاليها على الآخرين بهدف تقصّي مدى تأثيرها على قصائده، فكانت الإشكالية التي انطلق منها بحثنا هذا هي: ما هي أهم البواعث النفسية التي ساعدت على تشكيل شخصية المتنبي الاجتماعية والشاعرية، وما مدى تأثيرها على بناء قصائده؟، لنصل في الختام إلى أنّ البيئة التي ترعرع فيها ساعدت على ميلاد عقدة نقص في نفسه سعى إلى تعويضها بالإبداع والتّمرّد على الآخرين، ومسألة شعوره بالنقص تحتاج إلى دراسة معمقة، لأنّها ستكشف جوانب خفية لدى الشّاعر.

كلمات مفتاحية: الباعث النفسي، تضخم الأنا، شعر، المتنبي، أثر.

Abstract: This research paper examines the poetic achievement of Abu Tayyib al-Mutanabbi, which critics have viewed as an unsolvable mystery, a sea whose treasures can only be accessed by diving into its depths, given its exceptional nature. In this study, we spot the light on the most important direct psychological motives that contributed to the inflated ego and caused him to be arrogant toward others, with the aim of investigating the extent of their influence on his poems. The underlying problem of our research is: What are the most important psychological motives that helped shape al-Mutanabbi's social and poetic personality, and to what extent did they influence the construction of his poems? In conclusion, we conclude that the environment in which he grew up contributed to the birth of an inferiority complex within himself, which he sought to compensate for through creativity and rebellion against others. The issue of his sense of inferiority requires in-depth study, as it will reveal hidden aspects of the poet.

Keyword: psychological motive, ego inflated, poetry, al-Mutanabbi, influence.

1. مقدمة:

الإبداع الشعري ملكة تولد مع الفرد، فتتطور وتنمو وتتصل بالكتساب لمعارف عديدة من مختلف الثقافات إلى جانب ثقافته، بالإضافة إلى ممارسة الكتابة والدربة عليها، وقد أدرك النقاد العرب منذ القديم مدى صعوبة نظم الشعر وكذا التحكم بناصية القول، فرأوا أنها عملية تعبيرية معقدة تنبعث من ذات المبدع لتصور مكبوتاته وتفاعلاته مع المجتمع وقضاياه، لكن ما أثار انتباههم بشدة في هذه القضية هو مصدر هذه القوى السحرية وماهية البواعث النفسية التي تدفع بالشاعر إلى قول الشعر، فراحوا يستكشفون الأمر ويستنتقون ما قاله الشعراء في أعمالهم الإبداعية، ويستجلون آراء المتذوقين والعارفين بها في الأخبار المتناقلة لدى الرواة، فصالوا وجالوا في الميدان وأدلى كل واحد منهم بدلوه.

كما لم تخل الدراسات الحديثة من تتبع الأعمال الشعرية القديمة لكبار الشعراء في مختلف العصور، فنقبوا مابين الحروف بهدف الكشف عن الدوافع وراء نظمها وشهرتها حتى أصبحت نموذجا يحتذى به؛ لاحتوائها على مجموعة من الأساليب أو الصور أو المعاني العقيمة التي أكسبتها الجمالية بالإضافة إلى صفة الخلود والديمومة لصاحبها، وقد كان المتنبي وما يزال أحد هؤلاء الذين نالوا حظا وافرا ضمن هذه الأبحاث بسبب شعره الذي ظل منذ القرن الرابع الهجري إلى وقتنا هذا محل تساؤلات وجدل حول شخصيته التي عرفت حضورا بارزا فيه، بالضبط تلك الأنا المتعالية المتفجرة التي لم تكد تخلو قصيدة من قصائده منها إن لم يخن القول.

شدني الحضور المكثف للأنا في قصائد أبي الطيب لفتح باب تساؤلات عن الأسباب المؤدية لتضخمها بهذا الشكل المبالغ الذي لم نجده عند غيره من الشعراء ممن كانت لديهم قدرة فائقة في صناعة الشعر وخلقوا لأنفسهم طريقة خاصة تميزهم عن غيرهم من الشعراء كأمثال أبي تمام وهو ممن تأثر بهم أحمد في بداية مسيرته، من هذا المنطلق ولد بداخلي حافز للغوص في حياته ثم شعره والبحث عن بواعث تعالي الأنا لديه، ودراسة أثر حضورها وتشكلها ضمن بناء قصائده، فتحمّر في ذهني سؤال جوهري هو الآتي: ما هي البواعث النفسية التي ساعدت على تبلور شخصية المتنبي وتعالي الأنا عنده؟ وما تأثيرها في بناء قصائده؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال يجب التعرف على مفهوم الباحث النفسي أولا، وما الذي قاله عنه النقاد قديما وحديثا.

2. الباحث النفسي من منظور النقاد قديما وحديثا:

2.1 مفهوم الباحث النفسي:

يُعرّف الباعث على أنه "...بمعنى محرّك (motive) هو عامل وجداني نزوعي (انفعالي/ حركي) من شأنه تحديد اتجاه سلوك الفرد نحو غاية أو هدف، سواء كان مستوعبا عن وعي أو دون وعي" (رزوق، 1978، صفحة 55)؛ أي هو كل فعل أو قول مُوجّه للفرد يثير سلوكه نحو هدف ما للقيام به سواء بإرادته أو بغير إرادته، فمثلا نجد أن العديد من الاختراعات المنتشرة اليوم في مجتمعاتنا جاءت وليدة رغبة الإنسان في تسهيل طريقة عيشه والتعايش مع بيئته كي تتبسط أمامه ويظهر كل واحد منهما ودّه للآخر، كما وصلنا من كتب الأخبار أن العرب ابتدعوا الرّجز لتخفيف مشقة السفر وأحوال الطريق وسط الصحراء بما تحمله من صعوبات وتحديات، فكان هذا الأخير-الرجز- صاحب والأنيس له ولناقته وسط الخلاء الموحش، وفي مجال الأدب يُعرّف الباحثون البواعث على أنها ما "يتكون من الحوافز والدوافع النفسية التي تحفز شخصية في الأدب على أن تقوم بالفعل الذي قامت به" (إبراهيم ف.، 1986، صفحة 60)؛ بمعنى آخر هي الأفعال أو الأحوال التي تستفز الأديب لكتابة عمله، فالأديب جزء من مجتمعه ولسان حاله، فأى فعل أو قضية تطفو على سطحه يقابله ردة فعل منه يترجمها إلى عمل يبوح من خلاله عن أفكاره ومشاعره تجاه الحدث، وقد يصنع شخصية ضمن عمل ما ينقل إليها دوافعه الواقعية المكبوتة بداخله فتتحرك بداخل النص على ذلك الأساس.

2.2 بواعث نظم الشعر بين النقاد القدامى والمحدثين

وضع نقاد العرب القدماء بعض التعليقات البسيطة حول الحالات التي تحرّك ملكة الإبداع الشعري لدى الشعراء، فرأوا أن بعضها متعلق بالمكان وأخرى متعلقة بالزمان أو غيرها من السياقات المحيطة بالشاعر، ولم تكن تلك الأحكام موضوعية مبنية على أساس علمي بل هي مستقاة من ذوقهم الخاص الناتج عن معرفتهم بالشعر العربي وأصوله، لذلك سافرنا إلى نصوصهم النقدية واستنطقناها لمعرفة رؤية كل ناقد منهم.

نبدأ بابن قتيبة صاحب كتاب "الشعر والشعراء" الذي يرى في مؤلفه هذا أن بواعث نظم الشعر خمسة فيقول: "وللشعر دواع تحت البطئ، وتبعث المتكلف، منها الطمع، ومنها الشوق ومنها الشراب، ومنها الطرب ومنها الغضب" (قتيبة، 2010، صفحة 78)؛ أي أنه يرجع صناعة الشعر إلى حالات شعورية متعلقة بذات الشاعر تطرأ عليه من خلال تواصله مع الآخر أو تعرضه لمواقف معينة تأجج بداخله نوعا من المشاعر التي تدفعه لقول الشعر، فالطمع -مثلا- المقصود به هنا هو التكسب وله علاقة وطيدة بالمدح إذ يكتب الشاعر قصائده بدافع التقرب من الملوك وأصحاب المقامات العليا ليغدقوا عليهم بالأموال، فيبدعون في خلق صور مبالغ فيها للتضخيم من حجم الممدوح وإعلاء شأنه، فمثلا عندما نعود إلى بائنة النابغة الذبياني في مدح النعمان بن منذر، وبالأخص في قوله:

فإنَّكَ شمسٌ والملوكُ كواكبُ إذا طلعتْ لم يبدُ منهمْ كوكبُ (1996، صفحة 28)

نلاحظ أنه جعل من الممدوح مركز الكون الذي يحتاجه الجميع ولا يمكنهم العيش بدونه، فهو النور الذي يضيئ ظلمة حياتهم أما دونه من الملوك كواكب لا قيمة لهم في محضره، كما تحدث ابن قتيبة في السياق ذاته عن الشوق كمحفز آخر لكتابة الشعر، وهو فرع من الغزل يعبر الشاعر فيه عن ما صنع به الحب ويصف مشاعر الحنين وألم الفراق وما أصابه من نحول وهزال جزاء الابتعاد عن محبوبته حبوبه من الأمثلة المشهورة في هذا الباب ما قاله عبدة بن الطيب يقول عن حبيبته التي باعد بينهما الهجر:

هل حبلُ خولةً بعد الهجرِ موصولُ أم أنتَ بعيدُ الدارِ عنها مشغولُ (صفحة 135)

نلمح من البيت السابق أن الشاعر افتتح قصيدته بتساؤل طرحه للمحب حول مصير العلاقة بينه وبين محبوبته بعد انقطاع حبل الود مما جعله في حيرة عن مدى تأثره بهذا البعد، أم أن الأيام استطاعت أن تشغله عنها وتنسيه حلاوة الوصال، أما في باب الطرب يختلف الأمر فطالما كانت مجالس الخمر والغناء موضوع الشعراء ينسجون فيها وعنها قصائد جميلة، فبعد دخول مرحلة اللاوعي وبلوغ مقام الانتشاء يعبر الشاعر عن ما يدور في ذهنه بالفاظ عميقة وصور بديعة وديوان أبو نواس شاهد على ذلك ولا بأس أن نذكر مثالا من إحدى لوحاته الشعرية التي يقول فيها:

دع عنكَ لومي فإنَّ اللومَ إغراءُ وداوني بالتي كانت هي الداءُ

صفراءُ لا تنزلُ الأحزانَ ساحتها لو مسَّها حجرٌ مسَّته سراءُ (نواس، 2010، صفحة 53)

كما نلاحظ في هذين البيتين أن الشاعر يعاتب من يلومه في شرب الخمر وإتيان مجالسها، فلحظة معاقرة الخمر لحظة لها مكانتها عند الشاعر ففيها تحضر التناقضات فيها يحضر الوعي ويغيب في آن واحد فينسج الحسن بن هانئ أجمل اللوحات الفنية المزركشة بصور تعج بأهات الشاعر المعبرة عن مذهبها في الحياة، فالخمر عنده تساوي الحرية والسعادة، وآخر باب ذكره ابن قتيبة هو الغضب ومعناه أن يعبر الشاعر عن سخطه تجاه شخص أو موقف نتيجة تراكمات، وهو مرتبط بالهجاء وأكثر من اشتهر في هذا الباب الحطيئة في الجاهلية وصدر الإسلام، ويقابله في العصر العباسي بشار بن برد كلا الشاعرين عاشا حالة من السخط على المجتمع وأفراده بسبب شعورهم بالنقص فتمردوا وهاجموا كل من حاول النيل من ذواتهم لهذا يعبر الحطيئة عن غضبه فيهجو قومه الذين استحقروه قائلا:

لَهُمْ نَقَرٌ مِثْلُ الثُّيُوسِ وَنِسْوَةٌ مَمَاجِينُ مِثْلُ الْآتَنِ النَّعْرَاتِ (2005، صفحة 28)

وقد بلغ به الأمر أن وصفهم بأبشع الصفات، وأفحش في هجائهم إذ شبه رجال القوم بالتيتوس الذين لا عقل لهم همهم الوحيد إشباع رغباتهم وينطبق الأمر كذلك على نسائهم وهذا وصف لا ينبع إلا من نفس غاضبة حاقدة لدرجة يعجز العقل البشري عن تصورها وصل بها إلى انتهاك أعراف العرب والمساس بأهم الأسس التي يقوم عليها ألا وهو الخلق الكريم والشرف.

يعتبر المكان أحد المؤثرات القوية في نفسية الشاعر إذ تنفتح قريحته في بيئة وقد تخبو في أخرى، فلا يحمله على قول الشعر إلا أمر عظيم، وشعراء الطائف نموذج حي عن مدى تأثير المكان في قريحة الشاعر فبحسب ما ذكره ابن سلام في طبقاته-طبقات فحول الشعراء- أن الشعر: "بالطائف شعر ليس بقليل وإنما يكثر بالحروب التي تكون بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج، أو قوم يغيرون ويغار" (الجمحي، صفحة 259)؛ أي أن البيئة الطائفية لا تعين الشعراء على نظم الشعر وهذا عائد للظروف الحياتية المتعلقة بالمنطقة وكذا طبيعة سكانها التي لا يثير حفيظتها إلا الحروب، فالحرب أهم البواعث التي تأجج نفس الشاعر وتدفعه لقول الشعر فهو من يحرض الفرسان على القتال للحفاظ على سمعة قبيلتهم وشرف أجدادهم، كما يرثون المحاربين الذين ماتوا في المعارك فيسجلون بطولاتهم كي تبقى متداولة من جيل لآخر، ومن جهة أخرى يبدعون في نقل المعارك وتصويرها أمام القبائل الأخرى فيكبر الشاعر في قبيلته وتصبح له مكانة عظيمة لذلك كانت العرب تفرح وتقيم الولائم إذا نبغ عندها شاعر، كما بلغنا من كتاب "العمدة" لابن رشيق القيرواني أن حديثاً دار بين عبد الملك بن مروان وأرطاة بن سهية حول القريض ونص الحوار كالاتي: "وقال عبد الملك بن مروان لأرطاة بن سهية: أتقول الشعر اليوم؟ فقال: والله ما أطرب ولا أغضب ولا أشرب ولا أرغب، وإنما يجئ الشعر عند إحداهن" (القيرواني، 2000، صفحة 194) وهذا دليل على أن الشعر لا يتأتى لصاحبه إلا في حالات معينة إذا أصابت الشاعر تحركت قريحته وانفجرت ذائقة الشعرية، وهي شبيهة بالحالات التي ذكرها ابن قتيبة فيما سبق ذكره.

ظل البحث عن أسباب نظم الشعر قائماً حتى العصر الحديث فقدم النقاد رؤاهم حول الموضوع فيقول إبراهيم المازني في هذا السياق: "أليس الحب والبغض والخوف والرجاء واليأس والاحتقار والغيرة والندم والإعجاب والرحمة مادة الحياة؟ فأى غرابية في أن تكون مادة الشعر أيضاً؟" (المازني، 2010، صفحة 5)، مما سبق نفهم أن المازني يعتبر الشعر هو ابن الحياة المولود من رحمها ولسان حالها الناطق بآلامها وآمالها' الكاشف عن تقلباتها بين حزن وفرح وخوف ورجاء والشاعر ما هو إلا مترجم لهذه الحالات، ومن جهة أخرى يعتبر عز الدين إسماعيل في كتابه (التفسير النفسي للأدب) أن الحافز وراء الإبداع هو المتعة فذاك الشعور الذي يعتري الكاتب بعد إنهائه لعمله وإعجابه به يقدم له حافز لتقديم المزيد (عزالدين، صفحة 34).

مما سبق نصل إلى أن الإبداع في مجال الشعر وما له صلة به من ظواهر فنية التي تظهر عيانا في أعمال المبدعين هي نتاج عوامل خارجية تؤثر في ذات الشاعر فتترجم إلى قصائد تتفجر روعة وجمالا، فيؤول بنا القول لطرح هذا السؤال والبحث عن إجابات له: إلى أي مدى تنطبق هذه الرؤية على المتنبي؟ وما هي الدوافع التي أدت إلى تضخم الأنا في شعره؟

3. البواعث النفسية لتضخم الأنا في شعر المتنبي

1.3 البيئة و المجتمع:

شاعر العروبة وشاغل الأذهان ورب الشعر العربي بلا منازع، هو "أحمد بن الحسين بن عبد الصمد أبو الطيب الشاعر المعروف بالمتنبي" (ابن كثير، 1985، صفحة 256) على رأي ابن كثير، ولد "بالكوفة سنة ست وثلاثمائة" (ابن كثير، 1985، صفحة 256) كما قيل سنة ثلاث وثلاثمائة بحسب ما ذكره الثعالبي في "يتيمة الدهر" (الثعالبي، 2000، صفحة 141) لكن المتفق عليه أنه من شعراء القرن الرابع الهجري، عرفت الكوفة بالصراعات السياسية والمذهبية فمنذ أن فتح أبو الطيب عينيه كانت الفتن تمر من حين لآخر فما إن تخبو واحدة إلا وجذوة الثانية قد صارت نارا تأكل الأخضر واليابس.

نشأ المتنبي في وسط هذه الفوضى بين أحضان عائلة فقيرة معدمة، فوالده عمل سقاء "يعرف بعبدان السقاء وكان يسقي الماء لأهل الكوفة على بعيره" (ابن كثير، 1985، صفحة 256) ليؤمن قوت وزوجه وطفله الصغير، أما من ناحية تعليمه دخل شاعرنا مدارس العلويين فنشأ نشأة شيعية ودرس مع خيرة وكبار أبناء العلوية أصحاب المناصب العليا "فكان يتعلم دروس العلوية شعرا ولغة وإعرابا" (الأصفهاني، 1986، صفحة 6) هنا شعر بالفارق الاجتماعي بينهم وأدرك الهوة الطبقيّة الشاسعة بالمقارنة مع أقرانه فنما بداخله طموح لبلوغ المراكز العليا منذ صغره فكان السؤال كيف السبيل؟ وأين؟

أدرك المتنبي ثقافة مجتمعه ومدى حبهم وتقديسهم للشعر فراح يخطو ويتعلم المبادئ الأولى ليكتسح المجال، فأخذه والده إلى البادية ليكتسب اللغة العربية السليمة القحة من عند الأعراب، بعدها عاد إلى الكوفة حيث النزاعات لا تزال مستمرة لكن هذه المرة كان للدهر فعله إذ كسر ظهره بموت والده بعدما فقد أمه في سن مبكرة فغادر ليعيش مع جدته، لم يرض الفتى الطموح الراغب في تغيير واقعه أن يقف أمام الأحزان ضعيفا بل راح يكمل المسير في بناء اسم خاص به كي يكون له سلاحا يواجه به مجتمعه فيما بعد فذهب يبحث عن العلم والثقافة بين الكتب والصحف فاطّلع على معارف عديدة منها الفلسفة والمنطق وقد كان لها حضورا بارزا في قصائده.

إلى جانب هذه الهموم كان هم آخر يؤرق أحمد، هم شغل كل عربي آنذاك وهو فقدان الفرد العربي لمركزيته ضمن الجهاز الإداري للخلافة مما انعكس ذلك على مكانته الاجتماعية، فحين صوب أنظاره نحو بغداد وجد أن الخلفاء أزاحوا العنصر العربي وقلدوا العنصر الفارسي والتركي المناصب العليا فاستبدوا بأمور الحكم وسيطروا عليها بلغ الأمر أن لم يعد للخليفة سوى الاسم أما العقل تحركه أيادي خفية، فرأى أن هؤلاء العباسيين لا يمثلون النموذج الذي رسمه بعقله، نموذج الرجل العربي الأصيل إن لم نقل الجاهلي بصفة خاصة، صاحب النسب الصريح والمكانة العليا، الذي تحركه الأنفة، الفارس الأبوي الذي يفخر بعروبته هذه المقومات جميعها وجدها في شخص واحد وهو سيف الدولة الحمداني.

رأى أبو الطيب المتنبي في الشعر طوق النجاة لاستعادة مجد العرب وإثبات ذاته وليس أي شعر، شعر يجمع بين الروح القصيدة العربية الجاهلية والثقافة العباسية المنتشرة بالثقافات الأخرى ليخرج لنا نموذج استثنائي لا قبل للنقاد العرب به آنذاك.

2.3 الشعور بالنقص:

لم يولد أبا الطيب في بيت عز وشرف إنما كان ابن رجل سقاء يحاول أن يؤمن قوت يومه ويعيل عائلته، كما أن نسبه لم يكن شريفاً هو من عائلة بسيطة بحسب ما ورد في كتب الأخبار وقد عبر بهذا كثيراً من قبل الشعراء المعادين له يقول أحدهم:

أي فضلٍ لشاعر يطلب الفضل ل من الناس بُكرة و عَشِيًّا

عاش حيناً يبيعُ في الكوفةِ الما ءَ و حيناً يبيعُ المحيّا (خليف، صفحة 119)

كما أثر نظام الطبقة في تلك حقبة بشكل كبير على نفسية الشاعر إذ ولد عنده شعور بالنقص ورغبة كبيرة في تسلق السلم الاجتماعي والعيش مع عليّة القوم خاصة وأنه تتلمذ بجانب أبناء الأغنياء، علاوة على ذلك كان لتمذهبه مذهب العلوية أثر كبير في نفسيته أكسبه قلقاً واضطراباً كبيرين من الناحية الدينية حمله الأمر على إخفاء توجهه المذهبي فقد كان يعلم أنه مذهب يمتلك العديد من الخصوم فأمام هذه المقومات شعر المتنبي بالضعف والنقص في هذا السياق يقول أيمن محمد زكي العشماوي: " لقد عاش المتنبي على مستوى الواقع التاريخي حياة قلقة مضطربة، تطارده فيها طموحات لا تحد ويقلقه فيها توتر نفسي نتيجة ضعف إمكاناته عن تحقيق هذه الطموحات، هذا على المستوى الذاتي" (العشماوي، 1983، صفحة 159)، ما زاد الطين بلة بعد سطوع نجمه لقي المعارضة الشديدة التي من قبل النقاد واللغويين والشعراء لمذهبه الشعري بلغ بهم الأمر أن بدؤوا يذكرونه بأصله

ومنبته وبأنه شخص ليس له نسب ولا مكانة جاء من بيئة متواضعة فحاولوا أن يقزموه ويهمشوه فأحس بالخطر يدق ناقوسه، فسعى لإثبات رؤيته الشعرية ووجوده كذلك أمام خصومه فتمرد على كافة الأصعدة.

3.3 الرغبة في التمرد

أدرك المتنبي أن واقعه يستوجب التمرد عليه والتغيير إلى الأفضل ولا يتأتى هذا إلا إذا امتلك سلاحا فتاكا يرغبه الجميع وبهابه، وكان هذا الأخير مطلع على ثقافة عصره فاستنتج أن المكانة والمال لا يأتیان إلا بالشعر والتقرب من أصحاب المال والملوك، لكن بالتميز في صناعته؛ لأنه هو السبيل الوحيد لأمثاله خاصة بوجود كبار الشعراء في العصر فكيف السبيل للحصول على مكانة بينهم؟

انطلقت شرارة التمرد عند أبي الطيب بنكرانه للآخر الأعجمي وكل ما جاء به من تغييرات مست بنية المجتمع؛ لأنه "... شهد مصرع العروبة على أيدي هؤلاء الأعاجم فامتلاّت نفسه بالسخط، وتمنى أن تجتمع وأن يعود إليهم ملكهم القديم وأن يرد غير العرب عبيدا رقيقا وموالي كما كانوا من قبل حين كان الملك عربيا صحيحا" (خليفة، صفحة 124)؛ لذلك كان دائما يتمنى عودة أمجاد العرب القديمة وأيامهم حين علا شأنهم فقادوا الأمة فكان سيف الدولة الحمداني بمثابة المهدي المنتظر الذي سيحقق هذه الأمنية بالنسبة له؛ إذ امتلك أبو العشائر صفات طالما بحث عنها المتنبي بذاته قبل الآخر فتحققت في هذا الرجل، كما ثار من جهة أخرى على نسبه الذي اعتبره السبب أمام معاناته وكان هذا الأخير شبعا ظل يلاحقه طوال مسيرته فكان يتهرب من ذكره وقطع أي صلة به، فاعتبر العروبة النسب الوحيد الذي ينتمي إليه حتى أنه قال:

لَا بِقَوْمِي شَرَفْتُ بَلْ شَرَفُوا بِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجُدُودِي (البرقوقي، 2014، صفحة 386)

الشعر لدى أحمد ترجمان لما هو موجود على الساحة الأدبية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ومخرجات ذلك على نفسه آنذاك، فنسج لنفسه أسلوبا مميزا لم يتجرأ شاعر من بعده أن يبدع مثله بعدها أطلق العنان لذاته الثائرة كي تتمرد وتتعالى على غيرها مهما كان، فكسر تلك السلاسل التي تقيدته وأقام صرحا نصب فيه نفسه ملك والجميع تحت إمرته، فتمرد على مذهب المولدين بالعودة إلى زمن الأجداد واستحضر ألفاظهم وأساليبهم وطريقة نظمهم وأسبغها بثقافة ذلك العصر بل ابتكر أساليب جديدة، فكثّر من حوله المنتقدين والمثبطين لعزمته ليسكتوا تلك النفس المبدعة التي لا ترضى إلا بالتميز في مجالها وفي هذا الصدد يقول عمر الريحات عن محاولة تهमيش المتنبي والاستنقااص من قيمته:"وهذا ما عاناه المتنبي في مجتمع الشعراء محسودا محاربا، ولم يعترف له بفضل ولا بسبق أو يشعر بتقدير أو احترام، وما حظوته بالمكاسب المادية لدى الحكام إلا ليعوض حسد الحساد واعتراف المجتمع به وتقديره..." (الريحات، 2016، صفحة 49)

من خلال ما سبق نصل أن البواعث النفسية التي أدت إلى تضخم الأنا في شعر المتنبي هي: المحيط الذي ولد وعاش الذي تسبب في شعور الفتى بالنقص فاستوجب عليه أن يثور ويتمرد على مختلف الظروف ويضع لنفسه اسماً لامعاً أمام ذلك الزخم من المنافسين، لكن يبقى السؤال المطروح الآن كيف ساعدت هذه البواعث على تشكيل الأنا ضمن قصائده حضوراً و بناءً؟

4. أثر البواعث النفسية في حضور الأنا المتنبئية وتشكلها

شكلت الأنا في أشعار المتنبي حجراً مهماً في بناء قصائده فهي الخيط الرابط بين مشاعره وأفكاره المخزنة في لاوعيه وما يكتبه، فكيف أثرت على لغته الشعرية؟

4. 1. حضور الأنا و تشكيلها ضمن اللغة الشعرية:

تعرف اللغة على أنها "ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" (الجرجاني ا.، 2012، صفحة 161)؛ أي هي وسيلة الفرد للتواصل مع الآخرين ضمن مجتمعه والتفاعل معهم، ولا يمكن اعتبار اللغة لغة إلا بتوافر مجموعة من الأسس والقواعد التي تبنى عليها ولا يمكن كسرها، كل هذا في النطاق العام المتداول بين الأفراد، لكن الشاعر ليس كغيره من الأشخاص إذ تخول له نظم اللغة وتقاليدها الخروج عنها ف"الشاعر كالطائر الطليق يحلق في سماء من خيال وينشد الحرية في فنه، فلا يسمح لقيود اللغة أن تلزمه حداً معيناً لا يتعداه، بل يتخلص من تلك القيود كلما سنحت له الفرص" (إبراهيم أ.، 1966، صفحة 322/323)، في إطار ما يسمى باللغة الشعرية، فهذه الأخيرة الركيزة الأساسية التي يقوم عليها الشعر إذ تصدر بانفعال الشاعر جراء مواقف حياتية مفرحة كانت أو محزنة يصطدم بها فمن هنا نتساءل كيف ساعدت البواعث النفسية والسياقات الخارجية على تشكيل الأنا ضمن اللغة الشعرية عند المتنبي؟

4.1.1. الحقول الدلالية: استعمل الشاعر مجموعة من الألفاظ تحمل كل منها دلالات يمكن وضعها تحت مسمى واحد ويعرف هذا في الدراسات اللغوية بالحقول الدلالية" (عمر، 1998، صفحة 79)، وتوظيفها يكون بطريقة لاشعورية من قبل الشاعر فمجموع المشاعر المترابطة بداخله تدفعه إلى استعمال بعض الألفاظ دون أخرى لها خلفيات نفسية، ومن بين الحقول التي نجدها عند المتنبي:

حقل البداوة: وظف الشاعر ألفاظاً دالة على البداوة لتأثره بالبيئة البدوية والأصالة العربية في أعماقه كلفظة: (نار، منزل، دمنة، كئيب، الفيافي، الحصى، الترحال، الفلاة، الربع، الأطلال، الخيل، الناقة، العيس، الجود، ابن القوافي، البید، الخيام.... إلخ)، فالمتنبي صاحب شخصية مشبعة بالانتماء إلى أصلها العربي إذ يعتبره جزءاً من أناه ويفتخر به، فهو بالنسبة له تعويض عن ذلك النسب الوضيع الذي يحمله؛ لذلك راح يثبت انتمائه له

دائما كلما سنحت له الفرصة، كما لا ننسى أن الثقافة العربية آنذاك كانت تعتبر النموذج الأمثل للتحضر والكمال، أما اللغة العربية فكانت لغة المثقفين في العصر العباسي هذا ما زاد من تعاليه على الآخرين، وقد وجد فيها القوة التي تخوله أن يقف أمام الآخر الأعجمي فيواجهه به منصبا نفسه مدافعا عنها وحاميها، ولكي يثبت أمام العارفين باللغة أنه شخصية مبدعة تمتلك ناصية القول وهي مكن عظمتها، كيف لا وهو صاحب رصيد لغوي كبير.

يستدعي أبو الطيب **حقل الهجاء** في شعره، وهو الشخصية المتمردة الثائرة على المجتمع وأفراده، فهم أحد المثيرات لحالته النفسية، فاستعماله لكلمة : (كذابين، المدلس، حاسدي، مذمتي، ناقص، النباح، الأعمى، صمم، الجحيم، المكر، الوحش، وحشية، لؤم، ذباب، ضفدع، احتقار،... إلخ) ما هو إلا تعبير عن ما يضره في لاوعيه فهو صاحب أنا التي لا تقبل الرضوخ لأي شخص مهما كان حجمه وقيمتها في المجتمع، كما يرى من نفسه النموذج الأمثل لكل الصفات من عروية، ورجولة، و فروسية، إلى جانب أنه شاعر أمّا غيره من الناس ما هم إلا أراذل لا مكانة لهم، فهو يعلم أن الضعف يساوي ركنه على رف الهامش في ظل محيط لا يؤمن إلا بالقوي، ومن بين الأمور التي حفزته على مهاجمة الآخرين بشراسة وأعطت لشخصيته الطابع عدواني شعوره المستمر بحالة من النقص رافقه منذ طفولته جراء البيئة الاجتماعية المتدنية التي جاء منها أجبرته على أن يجعل من شعره مسرحا لإثبات ذاته ومهاجمة المستصغرين.

وظف المتنبي في أشعاره ألفاظا تدل على المدح فجاء هذا الأخير استجابة لمتطلبات الشاعر الذي أراد أن يكتسب قوة مادية واجتماعية فاستعمال ألفاظ كـ(المُسود، الججاج، كامل،خير، فضائل، مكارم، الأحبة، المسك، الأبطال، الليث... إلخ) كانت إرضاء لذاته أولا قبل ممدوحه فهو يعتبر نفسه سلطانا وذا كلمة يعلي بها من يشاء ويحيط قدر الآخرين، كما يرى نفسه مميّزا لا يمدح أي شخص بل الملوك وأصحاب المناصب العليا فقط فهم صورة عنه، يعكسون الصورة التي نسجها عن شخصه فكل هذا التمرد والرغبة في اعتلاء المجد ما هو إلا هروب من ماض يشعره بالخزي والنقص نحو حاضر ومستقبل يعتبره ستارا لحقيقته و سلم يرتقي به نحو طموحاته.

لم يأت **حقل الحيوان** في أشعار المتنبي عبثا إنما هي عادة الشعراء، حيث يهرون دائما من واقعهم فيلقون بأنفسهم في أحضان أكثر الأشياء ملازمة لهم طالبين المدد النفسي وما أكثر احتكاكهم بالحيوانات فهي الأنيس والرفيق في خلواتهم وترحالهم ورمز القوة في مواضعها، فحينما يذكر الشاعر لفظة: (الخيّل، الليث، الناقة، العيس، الأفاعي، الضفدع، الفرس، الظبي،الضرغام، الأشبال، العقبان، الذئب) نستشعر فيها ذاتا ثائرة تبحث عن القوة وتمجدها وهذا كله هروبا من شعوره بالدونية والخوف من التهميش فأكثر الحيوانات التي ذكرها قوية يهابها

الإنسان فكانت ترجمان لمشاعر الأنا الغاضبة الثائرة الباحثة عن الحرية وبلوغ المطامح لذلك كان دائم الصراع مع نفسه وغيره.

4.1.2 الأسماء و الأفعال:

(أ) - الأسماء:

كان لتوظيف بعض الصيغ الصرفية أثر بالغ الأهمية في تشكيل أناه ورؤيتها للآخر فقد كانت نفس المتنبي ثائرة مشحونة بمختلف العواطف التي تود التعبير عنها والشعر قالب محدود لا يليق به سوى الإيجاز فعمد لاستعمل اسم الفاعل للدلالة على الفعل وصاحبه؛ أي " لمن وقع منه الفعل، أو تعلق به" (أحمد، 2006، صفحة 70) فهو أراد من خلال هذا أن يوجز مشاعره المتضاربة في كلمات قليلة، ومن بين الأمثلة عن ما ذكرناه قوله:

أَطَعْتُ الْغَوَانِي قَبْلَ مَطْمَحِ نَازِرِي إِلَى مَنْظَرٍ يَصْغُرُنْ عَنْهُ وَيَعْظُمُ (1983، صفحة 302)

يعبر أبو الطيب في البيت السابق عن مدى إعجابه ومحبه العميقة لسيف الدولة الحمداني وهو النموذج الأمثل للكمال بالنسبة له بمقابل النقص الذي يشعر به؛ فهو العربي صاحب النسب الشريف، الفارس الأبي الذي يدافع عن العربية إلى جانب أنه ملك، وهذه الصفات التي تمنّاها المتنبي في نفسه بل بلغ الأمر به أن خُيِّلَ إليه أنه وسيف الدولة شخص واحد؛ لهذا نلاحظ حضور أناه وهو يمدحه حينما قال (أطعتُ)، واستعماله لاسم الفاعل (ناظر) يريد أن يقول من خلاله أنه وعيناه في آن واحد لا تلمح إلا شخصا واحدا وهو سيف الدولة فهو يعكس له نفسه ومطامحها، كما يرى فيه المهدي المنتظر الذي سيلملم ما تبقى من أشلاء العروبة، ويقول في بيت آخر:

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلٍ دَعَا قَلْبَاهُ قَبْلَ الرِّكْبِ وَالْإِبِلِ (1983، صفحة 336)

يتحدث المتنبي في هذا البيت عن لحظة الوقوف على الأطلال وهي عادة الشعراء القدماء لكنها اختفت في العصر العباسي مع ظهور المولدين الذين أعلنوا ثورتهم على كل ما هو قديم، لكن نظرة المتنبي كانت مختلفة، فهو لم ينس أصله العربي الذي يعتز به كثيرا بل راح يدافع عنه ويعتبره القاعدة الأساسية التي يجب على كل شاعر العودة إليه، فحاول استحضارها من جديد حتى يعيد روح الأصالة للقصيدة العربية في العصر العباسي وكأنه يذكرها -القصيدة- بأصولها الأولى، كيف لا وهو يرى الأعاجم يستولون على كل ما يعتبره حقا للعرب حتى وصل هذا الداء إلى أهم مكون للهوية العربية ألا وهو الشعر، بهذا يكون قد لمسوا جزء منه، جزء يمثل له الحياة، هذا ما أحدث اضطرابا نفسيا بداخله حمله على التهجيم على هذه الفئة ونكرانها واعتبراها مجرد فئة دخيلة على البيئة العربية وقد استخدم لفظ (الداعي)؛ لأنه أراد التعبير عن قيمة الشيء الذي حرك مشاعره، ذاك التقليد الأصيل للشاعر العربي في صورته الكاملة النموذجية، بلغة أخرى هي صورة عن الأنا عنده.

وظف أبو الطيب المتنبي صيغة اسم المفعول بحيث تحمل دلالة " ... من وقع عليه الفعل" (أحمد، 2006، صفحة 71) ، فالشاعر هنا يخفي نوعا من مشاعر العجز والضعف، صورة عن شخصيته المقهورة خلف ستار القوة والأنا المتعالية، مثال ذلك قوله:

وَأَنْتَ الْمُشِيرَ عَلَيَّ فِي بَضِلَةٍ فَالْحُرُّ مُمْتَحَنٌ بِأَوْلَادِ الرَّئَى (1983، صفحة 153)

يعتبر المحيط الذي عاش فيه المتنبي أهم محرض له على التمرد؛ فقد عاش دائما تحت ضغط تقديم صورة الرجل المثالي القوي أمام منافسيه؛ لذلك نلاحظ من خلال البيت السابق أنه قد صور نفسه إنسانا حرا صاحب مكانة مرموقة في المجتمع؛ لأن الملوك يقدمونه على غيره من الشعراء بفضل عبقريته الشعرية، وهذه الخطوة - من منظوره - لا يمتلكها الجميع، فصارت المصائب تلاحقه بسبب الحاسدين له؛ أي هو في صراع مع دائم محيطه، واستعمال اللفظة (مُمْتَحَن) يريد أن يشير إلى مروره بأزمات عديدة في حياته اليومية فتخزنت بلا شعوره مجموعة من المشاعر السلبية المتراوحة بين العجز والضعف والرغبة في كسر هذه المشاعر من جهة أخرى لهذا نجده يهاجم هذه الفئة من الناس وينعتهم بأبشع النعوت -أولاد الرئى- التي تنثر حفيظة كل إنسان، ومن الأمثلة الأخرى قوله:

كَلَّمَا فَاضَ دَمْعِي غَاضَ مُصْطَبْرِي كَأَنَّ مَا سَالَ مِنْ جَفَنِي مِنْ جَلْدِي (1983، صفحة 64)

يأتي البيت ليصور لنا حالة من الانفلات النفسي لمشاعر الشاعر المكتوبة في خضم مدحه لممدوحه؛ ليشير إلى قمة الألم الذي يعيشه جراء المحاربة لبلوغ أهدافه، فرغم قوته وشجاعته اللتين يبيدهما لكنه يشعر بضيق كبير وحزن شديد بسبب ما يلاقيه من معارضيهِ الذين دائما يحاولون تنكيهه بأصله ومنبته، فكلمة (مُصْطَبَّر) تدل على ثقل الصبر الذي يقتحم الشاعر اقتحاماً على نفسه ويحملها عليه، فليس من الممكن أن يظهر رجل كالمُتنبي ضعفه أمام الآخرين هذا ما خلق عنده أنا انفعالية وعدوانية غايتها أن تثبت وجودها وعظمتها في واقعه وقصائده.

(ب) - الأفعال:

الفعل "ما وضع ليدل على معنى مستقل بالفهم، والزمن جزء منه" (أحمد، 2006، صفحة 19)؛ أي هو كل ما دل على حدث أو عمل وقع في زمن ما، وللزمن تأثير عميق في نفسية الشاعر فهو يحرك مشاعره ويلمس تفكيره ويثيرهما بحسب الموقف الذي مرّ، فلنلاحظ قول المتنبي:

إِنِّي لِأَعْلَمُ، وَ اللَّيْبُ خَبِيرُ أَنْ الْحَيَاةَ وَ إِنْ حَرَصْتُ غُرُورُ (1983، صفحة 71)

يتحدث المتنبي في هذا البيت عن الحياة التي لا تؤتمن، فهي تلقي بصاحبها في مواجهات قاسية مع القدر، ولا يدركه ذا إلا إنسان عاقل حكيم قد خبرها مدة طويلة، وليس بالغريب عن المتنبي أن يتحدث عن الحياة بهذه النبرة المتشائمة، وهو من تلاعبت به أياديها منذ صغره فقد نشأ في بيئة مضطربة، وفي وضعية اجتماعية متدنية ألزمته

أن يخرج ويبحث عن مجد يزيح عنه، ثقلها لكنه سقط في فخ النرجسية كتعويض عن ذلك النقص الذي رافقه طوال حياته؛ لذلك نجده في البيت السابق يوظف الفعل الماضي (حَرَصْتُ) والفعل المضارع (أَعْلَمُ)؛ ليدل على ذلك الخيط النفسي الذي يربط عنده الماضي بالحاضر؛ فهو لا يستطيع الفصل بينهما فنفسه القلقة المتأرجحة بين أمس قاسٍ وحاضر يرغب بأن تتحقق فيه طموحاته، بين ماضي يذكره بطولته بين شوارع الكوفة وهو يرافق والده السقاء ومستقبل يريده أن يكون فيه هو السيد الأمر الناهي، وفي مثال آخر يقول:

إِنِّي وَ إِنَّمْتُ حَاسِدِي فَمَا أَكْزُرُ أَنِّي عُقُوبَةٌ لَهُمْ (1983، صفحة 93)

يريد الشاعر أن يوصل رسالة للمحيطين به حول رأيه فيهم، فهو يراهم مجرد مخلوقات مريضة بداء الحسد فعاقبهم الله به، محاولاً الاستخفاف بهم وإغاضتهم، وهذه النظرة جاءت نتيجة تفاخره المستمر بقريحته الشعرية التي حباه الله بها، فأصبح يرى نفسه شاعر القرن الرابع بلا منازع، فحينما وظف الفعل (لُمْتُ) و(أَكْزُرُ) أراد أن يؤكد أن كثرة الأعداء والمنافسين له ليس بالأمر الجديد عليه، فمنذ أن نبغ في كتابة الشعر لقي معارضين كثر بسبب إبداعه الشعري الذي نتج عنه مذهب جديد؛ لذلك شعر بالتفوق على الآخرين، لكن السؤال المطروح لماذا يصرّ على الإعلاء من ذاته وتذكير الآخرين بوجوده؟ ليداري بها أحاسيسه الحقيقية بالضعفة ويتقوى بتحقيق الآخرين ومهاجمتهم، ويقول أيضاً:

وَأَنِّي إِذَا بَاشَرْتُ أَمْرًا أُرِيدُهُ تَدَانَتْ أَقَاصِيهِ وَهَانَ أَشَدُّهُ (1983، صفحة 456)

نستنتج من البيت السابق أن المتنبي صاحب شخصية طموحة ويسعى جاهدا وراء أحلامه كي يحققها؛ لأنه منذ خروجه من الكوفة كان المجد طريقه المحتوم الذي لا رجعة فيه، فاستخدامه للفعلين (بَاشَرْتُ/تَدَانَتْ) وللفعل (أُرِيدُهُ) يدل على أنه صاحب ثقة عميقة بنفسه وبقدراته، فهو منذ قرر أن يتمرد على أوضاعه الاجتماعية ويصنع لنفسه حياة جديدة كانت الإرادة التي تتبع من داخله الحافز الأول للوصول، ولقوة عزمته وثبات رأيه أصبحت أهدافه تأتيه لوحدها وتسهل له إن كان صعبت، إنما يدل هذا البيت على مقدار الصلابة التي صنعتها تجارب الحياة بداخل هذا الرجل في سبيل الهروب من ماضيه.

جمع الشاعر بين الأفعال الماضية والأفعال المضارعة في قصائده للربط بين زمنين، بين ماض عاش فيه مواقف صعبة ظل يستدعيها للحاضر دون دراية منه، فهو في هذا الجمع يعيش حالة من الصراع مع نفسه رغبة في إخفاء ماضيه لذي ظل مرتبطاً به نفسياً في حاضره مما جعل نفسه تلتهب فتتفجر بكلمات تعبر عن عدم رضوخها أمام أي موقف أو شخص فهو يمتلك طموحا لبلوغ السيادة.

3.1.4 الجمل:

الصفحة	الجملة
ص55	أَنَا عَيْنُ الْمُسَوْدُ الْجَحَّاحِ هَيَّجْتَنِي كِلَابُكُمْ بِالْثُبَّاحِ
ص60	إِنِّي نَزَرْتُ عَلَيْكَ دُرًّا فَانْتَقَدْتُ كَثُرَ الْمُدْلَسُ فَاحْذَرِ التَّدْلِيسَا
ص71	إِنِّي لِأَعْلَمُ، وَ اللَّيِّبُ خَبِيرُ أَنَّ الْحَيَاةَ وَ إِنِّ حَرَصْتُ غُرُورُ
ص93	إِنِّي وَ إِنِّ لَمُتُ حَاسِدِي فَمَا أَنْكِرُ أَنِّي عُقُوبَةٌ لَهُمْ
ص101	وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَعِدُنُ الدَّهَبِ الرَّغَامُ
ص180	وَ إِذَا أَتَيْتُكَ مَدْمَتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ
ص332	سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنَا بِأَنَّنِي خَيْرُ مَنْ تَسَعَى بِهِ قَدَمُ أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي وَ أَسْمَعْتُ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ أَنَا مِلءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَ يَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَاهَا وَ يَخْتَصِمُ
ص373	وَمَا أَنَا إِلَّا سَمْهَرِي حَمَلْتُهُ فَرَّيْنِ مَعْرُوضًا وَرَاعَ مُسَدَّدًا
ص456	وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةٍ قَصَائِدِي إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدًا
ص479	وَأَنِّي إِذَا بَاشَرْتُ أَمْرًا أُرِيدُهُ تَدَانَتْ أَقَاصِيهِ وَهَانَ أَشَدُّهُ
ص507	وَإِنِّي لَنَجْمٍ تَهْتَدِي صُحْبَتِي بِهِ إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ النُّجُومِ سَحَابُ
ص525	إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ، ضَيْفُهُمْ عَنِ الْقَرَى وَعَنِ التَّرْحَالِ مُحْدُودُ مَنْ مَبْلَغَ الْأَعْرَابِ أَنِّي بَعْدَهَا جَالِسْتُ رِسْطَالَيْسَ وَالْإِسْكَندَرَا

ألف المتنبي في قصائده بين الجملة الاسمية والفعلية نتيجة لأناه القلقة غير المستقرة على حال واحد فارتداه ثوب التعالي لأجل إخفاء النقص والرغبة في الهروب من ذكريات مريرة وقتاله لكي لا يخسر مكانته أدخلوه في صراع دائم مع نفسه وغيره، فكانت الكلمة وثقافته الواسعة قوته أمام هذا المجتمع القاسي وسلاحه الفتاك، من بين الأمثلة قوله في ميميته المشهورة:

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنَا بِأَنَّنِي خَيْرُ مَنْ تَسَعَى بِهِ قَدَمُ

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي وَ أَسْمَعْتُ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ

أَنَا مَلَأَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَ يَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَ يَخْتَصِمُ (1983، صفحة 332)

يعبر المتنبي في هذه الأبيات عن نظريته حول ذاته فهو يراها كالمقام المبارك الذي يحج إليه الناس وأن شعره معجزة سماوية وهبه الله - سبحانه وتعالى - إياها هذه المعجزة التي تعيد للأعمى بصره وتعيد للأصم سمعه، بل بكل ثقة يجزم أن شعره سيصبح محلّ جدال وصراع بين الخلق، وجاء هذا كله بين جناحي الجملة الاسمية والفعلية اللتين جاوز بينهما في الأبيات، وإن دلّ هذا الكلام على شيء، فهو يدل على الزعزعة النفسية التي يعانيها والتناقض الذي يعيش بداخله، بين عجز ثابت ورغبة ملحة في التعويض والانطلاق نحو مستقبل أفضل، كما يقول في أبيات أخرى:

وَمَا أَنَا إِلَّا سَمَّهَرِيٌّ حَمَلْتُهُ فَزَيْنَ مَعْرُوضاً وَزَاعَ مُسَدِّدَا

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُؤَاةٍ قَصَائِدِي إِذَا قُلْتُ شِعْراً أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِداً (1983، صفحة 373)

يرى أبو الطيب أنه يشبه الرمح المرصع بالجواهر والدرر الذي يعلق للزينة لكنه عند الحاجة يصبح مخيفاً لهدفه، ويضيف محدثاً عن مكانة شعره ويخبرنا أنه شعر خالد سيبقى الزمن يتناقله من جيل لآخر وهذا يعكس لنا ثقته الكبيرة بنفسه وملكوته الشعرية، كما نلاحظ أنه يلغي أي وجود للإبداع من طرف الشعراء الآخرين لدرجة أن الزمن سيظل مردداً لأشعاره دون غيره لا عجب من أن تصدر فكرة كهذه من شخصية لدية نظرة أحادية تتمحور حول ذاته فقط لذلك نجده يلغي أي وجود آخر، وهو يعتمد ذلك فتسليط الضوء على عبقرية الشعرية هو نوع من التستر على حقيقته فمما لا شك فيه، لو كان للمتنبي نسب شريف أو جاء من عائلته ثرية ما كان ليسكت عنه في شعر.

نستنتج في نهاية الأمر أن اللغة هي الأداة التي ينقل الشاعر أفكاره وأحاسيسه من خلالها بطريقة غير مباشرة بحيث يعجز عن السيطرة على منطقة لأشعور عنده فيفصح عن المستور بداخله بشكل رموز لا يدرك معانيها إلا المتعمقة في حياة الشاعر وشخصيته، وهذا حالنا مع أبي الطيب المتنبي الذي جعل اللغة مسرحاً لأناء كي تصول و تجول بين الألفاظ والجمال فثبت وجودها على حساب الآخر لكن الغرض من كل هذا هو إخفاء أزمار طفولته القاسية.

2.4 البواعث النفسية وتصوير الأنا المتنبي

يعتبر الخطاب الشعري خطاباً مقنعاً يتميز بعدم التصريح المباشر، فالشاعر يعبر عن مواقفه تجاه الحياة والمجتمع بصور مستوحاة من واقعه أو بتصوير من خياله فتكون "نسخة جمالية إبداعية تستحضر الهيئة

الحسية أو الذهنية للأجسام أو المعاني بصياغة جديدة تنهض لها مقدرة الشاعر ومقدرة تجربته وفق تعادلية بين طرفين هما المجاز والواقع دون أن يستبد طرف بآخر" (الصائغ، 1997، صفحة 99)، ومنها نذكر:

1.2.4 التشبيه:

التشبيه هو "حصول صفة المشبه به في المشبه وهذه الصفة تكون من أظهر صفات هو أخصها به" (الجرجاني ر.، 2002، صفحة 138)؛ أي أن يلتقيا في عناصر تتشابه بينهما وهذا ما نلمحه في قصائد المتنبي حين تحدث عن نفسه في مواضع عديدة و أراد تقديمها للمتلقي فيقول في أحد أبياته:

وَمَا أَنَا إِلَّا سَمْعِيَّ حَمَلْتُه فَرَزِينَ مَعْرُوضاً وَ رَاعَ مُسَدَّدَ (1983، صفحة 373)

نلاحظ أن الشاعر شبه نفسه بالرمح الذي يحمله الملوك للزينة، وتتغير وظيفته إن استوجب الأمر فيصبح سلاحا يدافع عنه أمام الأعداء و مصدر رعب لهم، ومنه نفهم أن المتنبي يرى نفسه شخصية ذات قيمة لا يتعامل مع الجميع إلا أصحاب النفوذ الكبيرة والملوك؛ لذلك يكتب عنهم قصائد يصفهم فيها بأوصاف مبالغ فيها، لكن في المقابل هو يصور نفسه من خلالهم فالنسبة له هم يعكسون رغباته الدفينة بأن يحصل على ما يملكون من جاه ومال ومكانة عالية بين الناس، فهو دائما همه الوحيد أن يذكر على أنه شاعر عظيم هذه أقصى أمنياته حينما انطلق يبحث عن المجد في العراق وما جاورها، وفي بيت آخر يشبه نفسه بالنجم الذي يهتدي به غيره إن ظلوا الطريق، كما يرى نفسه صاحب الرأي الصائب والسديد و القائد الذي يحسن قيادة الجماعة فيقول:

وَإِنِّي لَنَجْمٍ تَهْتَدِي صُحْبَتِي بِهِ إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ النُّجُومِ سَحَابُ (1983، صفحة 479)

فهو هنا يصور المكانة التي يريد أن يبلغها بين أقرانه فيكون لهم صاحب المشورة في ظل عجزوا في أمر ما فهو يريد أن يكون مقدما دائما، فالتهميش الذي عاناه في صغره جعل منه شخصية تهوى الظهور والسيطرة على زمام الأمور.

2.2.4 الاستعارة:

وظف الشاعر الاستعارة في قوله:

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُؤَاةٍ قَصَائِدِي إِذَا قُلْتُ شِعْراً أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِداً (1983، صفحة 373)

شبه الشاعر الدهر بالإنسان أو بالزلاوية الذي ينقل الأشعار بين الناس وينشرها بعدها حذف المشبه به وهو الإنسان وهذا ليبين قيمة شعره الذي بلغ أصداءه بقاعا كثيرة، وصار منتشرا في أرجائه بل كان واثقا بأنه سيظل يردد عبر التاريخ، أهم ما يلفت النظر في البيت السابق تباھيه بمواهبه التي يمتلكها أمام الآخرين واستنقاظه من

قيمتهم ما أوغر قلوبهم عليه، فراحوا يذكرونه بماضيه ما أصابه بقر نفسي راح يخفيه بتعاليه وبتصوير ذاته بأعظم الصفات، ويقول في بيت آخر:

ومرهف سرت بين الجحفلين به حتى ضربت و موج الموت يلتطم (1983، صفحة 332)

وصف المتنبي شجاعته في اختراقه الجيشين المتناحرين؛ ليقدم لنفسه صورة الفارس البطل، ثم استعارة كلمة الموج للحديث عن مدى صعوبة المعركة فشبه الموت بالبحر الهائج الذي تلو أمواجه ويقصد بهم الجيوش المتلاطم فيما بينها، فهو يصور نفسه ذلك القوي الذي لا يهاب الموت بل يقتحمه غير مبال؛ ليبين لنا مدى قوته وصلابته، كما أنه لا يحسن امتطاء القوافي فقط فترضخ هو كذلك فارس مغوار وهذه هي صفات العربي الأصيل التي يفخر بها أمام الآخرين.

3.2.4 الكناية: استعمل المتنبي الكناية في قوله:

مَنْ مُبْلِغِ الْأَعْرَابِ أَنِّي بَعْدَهَا جَالِسْتُ رِسطَالَيْسَ وَ الْإِسْكَندَرَا (1983، صفحة 525)

في البيت السابق كناية يريد أن يبين لنا المتنبي من خلالها أنه ذو ثقافة الواسعة اكتسبها بالاطلاع على مختلفة العلوم أهمها الفلسفة التي كانت صاحبة شأن كبير آنذاك خاصة فلسفة أرسطو؛ لهذا نجده يفتخر ويتباهى بقدر المعرفة التي بلغها؛ فمنذ صغره أدرك أن طريق العلم والشعر هما السبيل الوحيد لتغيير حياته ويخرج من كهف الفقر الذي يعيشه، فكلا من العالم والشاعر كان لهما مكانة كبيرة في المجتمع العربي خاصة عند عليّة القوم إذ كانوا من الحاشية المقربة، أما المتنبي أدرك ثقافة مجتمعه فأمسك العصا من وسطها فتدرج في كلا المجالين حتى تفوق فيهما، ويتحدث عن نفسه قائلاً:

أنا الذي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي وَ أَسْمَعْتُ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ (1983، صفحة 332)

يعبر في هذه الكناية عن مكانة شعره ومدى تأثير كلماته على المتلقين له فقد لَمَحَ بأنه فعال كالدواء حيث أن يداوي الأعْمَى والأصم، ومقدرته على الإبداع في الشعر جعلته يكتسب ثقة كبيرة في نفسه، وهذه الثقة غطت على مشاعر الدونية التي تختبئ وراء تلك الشخصية النرجسية التي لا تؤمن إلا بنفسها وتهتمش الآخرين وكأنه يقوم بعملية عكسية مع غيره.

بعد الحديث عن بعض الصور التي وظفها المتنبي والتي تباينت بين تشبيهه و استعارة و كناية استنتجنا أن المتنبي وظفها ليصور أناه على أنها ذات استثنائية مبدعة متعالية عن الآخرين بحيث أنها هي المركز الذي يدور حولها كل شيء وكل هذه الألقنة ليخفي ذاك النقص الذي يعيشه في أعماق نفسه.

5. خاتمة:

- بعد اختراق عالم الأنا المتنبي ومحاولة الكشف عن البواعث النفسية التي كونت شخصيته لدرجة أصبحت ذاته التعالي على الآخر ووضع مكانة لها ضمن بناء القصيدة نستنتج ما يلي:
- 1- يشير مفهوم الباعث لدى الباحثين إلى المثير الذي يحرك الإنسان للقيام بشيء ما برغبة أو من دونها.
 - 2- في مجال الأدب الباعث هو السياقات الخارجية التي تحمل الأديب على كتابة عمله شعرا كان أم نثرا.
 - 3- اتفق جل الشعراء قديما وحديثا على أن الحالات الشعورية للشاعر التي تكون نتيجة ظروف خارجية محيطة به هي المحفز الأول له للإبداع، ويرى آخرون أن المتعة التي يشعر بها المبدع أثناء العملية الإبداعية أو بعدها هي أحد المحفزات نحو العمل.
 - 4- يرى بعض النقاد القدامى أن المنطقة الجغرافية لها تأثير كبير في صناعة الشعر أو الإقلاع عنه.
 - 5- الظروف التي ولد فيها المتنبي ومسار حياته كان لهما دور كبير في تكوين شخصيته القوية التي بلغت حد التعالي على المحاطين به مهما بلغ مركزهم.
 - 6- كان للظروف الحياتية التي عاشها المتنبي في طفولته دور كبير في تكون عقدة النقص في لواعيه، فالتزمته طوال حياته فحاول إخفائها وتعويضها بصناعة شخصية قوية مستدعيا إياها في أشعاره.
 - 7- كان لشعور أبي الطيب بالنقص دور كبير في تمرده على أهله ومجتمعه وكل من حاول الوقوف بوجهه أو يذكره بأصله وماضيه.
 - 8- لجأ المتنبي إلى تعلم الشعر وأصوله ليعوض به عن طفولته القاسية، وليجعل منه سلاحا يغير به واقعه ويحصد به مكانة بين كبار الشعراء بل يتميز به عنهم، فترجم هذا الأخير كل ما تحمله تلك الأنا الثائرة.
 - 9 - استعمل الشاعر مجموعة من الألفاظ التي تعبر عن أناه ورغباتها، فاستعمل الألفاظ الدالة على البادية ليبدل على إخلاصه لأصله العربي فهو في نظره صورة للكمال، أما ألفاظ الهجاء تعبر عن الأنا المتمردة على قوانين الحياة الظالمة التي يرى أنها لم تتصفه، بينما ألفاظ المدح وظفها كنوع من الاستقواء وإثبات الوجود والسيطرة، أما الحيوان فهو رمز للقوة تارة وللضعف تارة وهذا هو حال شاعرنا الذي تتأرجح نفسه بين هذه و تلك.
 - 10- استعمال صيغ اسم الفاعل واسم المفعول بالنسبة لأبي الطيب كان بغرض الإيجاز في القول وكي تليق بمقام الشعر الذي لا يحبذ الإطناب و للدلالة على العجز و القهر الذي يعانيه رغم التظاهر بالقوة أمام أعدائه، كما أنه راجع لحب لشاعر للمبالغة في تصوير المشاهد وتهويل الأوضاع.

- 11- وظف الشاعر لوحات سرالية كي يصور نفسه للمتلقي على أنها نموذج لا يماثله أحد من الشعراء كل هذا كي يداري عن تلك العقدة التي تحرك مشاعر الغضب والتمرد نحو المجتمع الذي يعيش فيه و أفراده.
- 12- لقد كان للسياقات الخارجية التي احتك بها المتنبّي منذ طفولته إلى غاية فترة شبابه دور رئيس في تضخم الأنا عنده مما جعله يدرجها دائما في أشعاره ليلتفت الانتباه إليها و يثبت وجودها، لكن صنعت لنا قصائد تزخر بالجمال اللغوي ولوحات لم يرى لها مثيل في تاريخ الشعر العربي.

6. قائمة المراجع:

1. إبراهيم عبد القادر المازني. (2010). الشعر (غايته، ووسائله). مصر: مؤسسة هنداوي.
2. ابن سلام الجهمي. طبقات فحول الشعراء. جدة: دار المدني.
3. ابن قتيبة. (2010). الشعر و الشعراء. دار الآثار للنشر و التوزيع.
4. أبو الفدا الحافظ ابن كثير. (1985). البداية و النهاية. لبنان: دار المعارف.
5. أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني. (1986). الواضح في مشكلات شعر المتنبّي. تونس: الدار التونسية.
6. أبو نواس. (2010). ديوان أبو نواس برواية الصولي. أبوظبي: دار الكتب الوطنية.
7. أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور. (2002م). لسان العرب. لبنان: دار الكتب العلمية.
8. أبي علي الحسن بن الرشيق القيرواني. (2000). العمدة في صناعة الشعر و نقده. مصر : مكتبة الخانجي .
9. أبي منصور عبد الملك الثعالبي. (2000). بتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. لبنان: دار الكتب العلمية.
10. أحمد مختار عمر. (1998). علم الدلالة. مصر: دار الكتب.
11. أسعد زروق. (1978). موسوعة علم النفس. لبنان: المؤسسة العربية للدراسات و النشر.
12. إسماعيل عزالدين. التفسير النفسي للأدب. مكتب غريب.
13. الحملوي أحمد. (2006). شذا العرف في فن الصرف. لبنان: دار ابن حزم.
14. الذبياني النابغة. (1996). ديوان النابغة الذبياني. لبنان: دار الكتب العلمية.
15. الشريف علي بن محمد الجرجاني. (2012). معجم التعريفات. مصر: دار الفضيلة.

16. المفضليات . مصر: دار المعارف.
17. أنيس إبراهيم. (1966). من أسرار اللغة. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
18. أيمن محمد زكي العشماوي. (1983). قصيدة المديح عند المتنبي و تطورها الفني. لبنان: دار النهضة العربية.
19. ديوان الحطيئة. (2005). لبنان: دار المعرفة.
20. ديوان المتنبي. (1983). لبنان: دار بيروت للطباعة و النشر.
21. ركن الدين محمد علي بن محمد الجرجاني. (2002). الإشارات و التنبيهات. لبنان: دار الكتب العلمية.
22. عبد الإله الصائغ. (1997). الخطاب الإبداعي الجاهلي و الصورة الفنية. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
23. عبد الرحمن البرقوقي. (2014). شرح ديوان المتنبي. مصر: مؤسسة هنداوي.
24. عمر أحمد الرياحات. (2016). صورة التمرد في شعر المتنبي. قراءات للبحوث و الدراسات الأدبية و النقدية و اللغوية ، 6.
25. فتحي إبراهيم. (1986). معجم المصطلحات الأدبية. تونس: المؤسسة العربية للناشرين المتحددين.
26. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي. (2007). قاموس المحيط. 192. لبنان: دار الكتب العلمية.
27. يوسف خليف. في الشعر العباسي (نحو منهج جديد). مصر: دار الغريب.